# الإسلام دين أخلاق ومعاملة

(٣-٣)

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، دلال فور، جاركند

**شجاعته صلى الله عليه وسلم:**

إن الشجاعة من جميل الصفات، التي أكرم الله عز وجل بها النبي محمدا صلى الله عليه وسلم، وإن هذه من صفات كمال. كما يدل على ذلك الحديث الآتي:

عن أنس بن مالك قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس لأبي طلحة عري في عنقه السيف، وهو يقول: لم تراعوا، لم تراعوا، قال: وجدناه بحرا، أو أنه لبحر قال، وكان فرسا يبطأ". [١]

**سخاؤه صلى الله عليه وسلم:**

كان السخاء من عظيم خلقه وجميل صفاته صلى الله عليه وسلم، ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من متاع الدنيا فقال: لا، كما يدل على ذلك الحديث الآتي:

عن أنس أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم غنما بين جبلين، فأعطاه إياه، فأتى قومه، فقال: أي قوم أسلموا، فوالله إن محمدا ليعطي عطاء ما يخاف الفقر، فقال أنس: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها". [٢]

---

[١] رواه مسلم في صحيحه، باب شجاعته صلى الله عليه وسلم.

[٢] رواه مسلم في صحيحه، باب في سخائه صلى الله عليه وسلم.

وعن ابن شهاب قال: غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة الفتح، فتح مكة، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من المسلمين، فاقتتلوا بحنين، فنصر الله عز وجل دينه والمسلمين، وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ صفوان ابن أمية مائة من النعم، ثم مائة، ثم مائة، قال ابن شهاب: فحدثني سعيد بن المسيب أن صفوان قال: والله لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليّ فما برح يعطيني حتى أنه لأحب الناس إليّ". [1]

**قربه صلى الله عليه وسلم من الناس وتواضعه لهم:**

كان النبي صلى الله عليه وسلم يبرز للناس ويقرب منهم ليصل أهل الحقوق إلى حقوقهم، ويعلم جاهلهم، ويرشد مسترشدهم، وليشاهدوا أفعاله ومعاملاته فيقتدى بها، وكان يصبر على المشقة في نفسه لمصلحة المسلمين، وإجابة من سأله حاجة. كما يدل على ذلك الحديث الآتي:

عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغداة جاء خُدّم المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيه، وربما جاءه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها". [2]

وعنه قال: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه، وأطاف به أصحابه، فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل. [3]

وعنه أيضا أن امرأة كان في عقلها شيء، فقالت يا رسول الله! إن لي إليك حاجة، فقال يا أم فلان! انظري أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك، فخلا معها في بعض الطريق حتى فرغت من حاجتها. [4]

**عفوه وحلمه صلى الله عليه وسلم:**

العفو والحلم من عظيم صفات الإنسان، وجميل خصاله التي أكرم الله عزوجل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بها، لقي الرسول صلى الله عليه وسلم أذى كثيرا

---

[1] رواه مسلم في صحيحه، باب في سخائه صلى الله عليه وسلم.

[2] رواه مسلم في صحيحه، باب قربه صلى الله عليه وسلم من الناس ... إلخ.

[3] رواه مسلم في صحيحه، باب قربه صلى الله عليه وسلم من الناس ... إلخ.

[4] رواه مسلم في صحيحه، باب قربه صلى الله عليه وسلم من الناس ... إلخ.

من الكفار والمشركين، وعانى من ظلم وجور منهم في سبيل الدعوة إلى الله، فصفح، وتحلم، وعفا، وصبر على ما أصابه من مصيبة صبرا جميلا.

وقصة صفح الرسول صلى الله عليه وسلم وحلمه وصبره على البليات والأذية والجور والظلم في سبيل الدعوة إلى الله طويلة تناولت ذكرها كتب الحديث والسيرة بالبسط والتفصيل. يدل على ذلك ما يلي: عن جابر بن عبد الله قال: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة قبل نجد، فأدركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في واد كثير العضاة فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة، فعلق سيفه بغصن من أغصانها، قال: وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن رجلا أتاني وأنا نائم، فأخذ السيف، فاستيقظت وهو قائم على رأسي، فلم أشعر إلا والسيف صلتا في يده فقال لي: من يمنعك مني؟ قال: قلت: الله، ثم قال في الثانية: من يمنعك مني؟ قال: قلت: الله، قال: فشام السيف فها هو ذا جالس، ثم لم يعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم. [١]

وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في رأسه، فجعل يسلت الدم عنه ويقول: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم صلى الله عليه وسلم، وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله، فأنزل الله تعالى: {ليس لك من الأمر شيء}. [٢]

وعن ابن مسعود قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند البيت، وأبوجهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبوجهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان، فيأخذه، فيضعه في كتفي محمد صلى الله عليه وسلم إذا سجد، فانبعث أشقى القوم، فأخذه، فلما سجد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا قائم أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والنبي صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع رأسه، حتى إنطلق انسان، فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جارية،

---

[١] رواه مسلم في صحيحه، باب توكله صلى الله عليه وسلم على الله تعالى ... الخ.

[٢] رواه مسلم في صحيحه، باب غزوة أحد.

فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تسبهم، فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته رفع صوته، ثم دعا عليهم [١] ... الحديث.

وخير دليل على عفوه صلى الله عليه وسلم معاملته أهل مكة يوم فتحها، فإن الثابت تاريخيا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة فاتحا منتصرا أمن أهلها على دمائهم وأموالهم، وأعراضهم، وعاملهم معاملة كريمة جميلة، لم يتعرض لأحد منهم بالإيذاء أو الحبس، والنفي والتهديد والتشديد، بل عفا عنهم، وقال: أنتم الطلقاء لا تثريب عليكم اليوم.

**حسن خلقه صلى الله عليه وسلم:**

ليس بخاف على من له أدنى إلمام بالسيرة النبوية الشريفة أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا، لا يدانيه ولا يساويه فيه أحد من البشر، كان يخالط الناس بالجميل والبشر والتودد لهم، والإشفاق عليهم، واحتمالهم، والحلم عنهم، والصبر عليهم في المكاره، وترك الكبر والاستطالة عليهم، ومجانبة الغلظة، والغضب والمؤاخذة.

يقول أنس رضي الله عنه: خدمت الرسول صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما رأيته قال لي أفا قط، قال لي بشيء: لم فعلت كذا، وهلا فعلت كذا، وعاب عليّ شيئا قط. كما يقول أنس نفسه: خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، والله ما قال لي أفا قط، ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا، وهلا فعلت كذا. [٢]

وفي رواية عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا، فأرسلني يوما لحاجة، فقلت: والله لا أذهب وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله صلى الله عليه وسلم، فخرجت حتى أمُرَّ على الصبيان، وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض بقفاي من ورائي قال: فنظرت إليه وهو يضحك فقال: يا أنيس أذهبت حيث أمرتك؟ قال: قلت: نعم أنا أذهب يا رسول الله، قال أنس: والله لقد خدمت تسع سنين، ما علمته قال لشيء صنعته لم فعلت كذا وكذا، أو لشيء تركته هلا فعلت كذا وكذا. [٣]

---

[١] رواه مسلم في صحيحه، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين.

[٢] رواه مسلم عن أنس في صحيحه، باب حسن خلقه صلى الله عليه وسلم.

[٣] رواه مسلم في صحيحه عن أنس، باب حسن خلقه صلى الله عليه وسلم.

ويتجلى أبهى صور من حسن خلق النبي صلى الله عليه وسلم فيما يلي:

عن سعيد بن أبي سعيد أنه سمع أبا هريرة يقول: بعث رسول الله خيلا قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له "ثمامة بن أثال" سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ماذا عندك يا ثمامة، قال: عندي يا محمد خير إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان من بعد الغد فقال: ما عندك يا ثمامة؟ قال: ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان من بعد الغد فقال: ماذا عندك يا ثمامة؟ فقال عندي ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أطلقوا ثمامة، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، يا محمد! والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليّ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك، فأصبح دينك أحب الأديان كلها إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليّ [1] .... الحديث.

تبين مما تقدم من النصوص والتصريحات بوضوح وجلاء تام أن الإسلام دين أخلاق، جاء ليرشد إلى التحلي بمكارم الأخلاق، والتخلي عن رذائلها، لا تجد مثل هذه التعليمات والإرشادات في الأخلاق في الأديان والملل الأخرى التي قدّمها الإسلام بين يدي الناس غير دين الإسلام.

فهذه بعض النماذج لأخلاق دين الإسلام المحمودة الفاضلة التي رغب في التحلي بها، سقتها أمامك لتتخلق وتتحلى بها.



[1] رواه مسلم في صحيحه، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه.